



إيبارشية جنوبي الولايات المتحدة الأمريكية الرسالة الشهرية للرهبان والراهبات والمكرسين والمكرسات أكتوبر ٢٠١٥

أحبائي، سلام ونعمة.

في تناولنا لفصل "مناجزة التوبة الحقيقية" في كتاب "السُّلْم إلى الله"، أود أن أسرد قصة راهب سبق أن كان يحيا حياة الضلال.

وبعد وصوله إلى نقطة التحول، تغير كل شيء في حياته، ورأى أنه غير مستحق لنعيم الله المسيغة عليه، ولهذا فإنه عندما كان يسقط – ويتسبب بالضرر لأحدٍ ما – كان يسرع بالانسحاق في الصلاة وطلب المغفرة والقوة لأجل تتميم مشيئة أبيه السماوي وينهض مرة أخرى طالباً الصفح من قريبه.

إن حبسه، والذي يتحدث عنه القديس يوحنا الدرجي في هذا الفصل، كان هو قلبه بأكمله.

لا، لم يكن يعيش في دير الحبس مثل الرهبان الآخرين الذين يصفهم هذا الفصل، ولكنني أقول إنه حقاً كان يعيش فيه داخلياً.

على مدى سنوات تعلق قلب هذا الشاب بعبادات رديئة حتى أصبح كالحجر، أصم الأذنين وأعمى العينين... بُعِدَ عن الله لمدة طويلة مألء بالغضب والكبرياء، فكان يحيا كل يوم فقط ليشبع رغباته.

قال القديس يوحنا القصير: "يكذ الراهب في كل ما يعمل. هكذا يكون الراهب"^(١)، وهكذا كان الحال مع هذا الشاب الذي أصبح راهباً. وبالتالي لم يكن سجنه مبنئ مادياً، ولكنه حجرات قلبه والتي كانت تدور في جنباتها الحرب الداخلية التي كان يصارع فيها كل يوم ليحافظ على النار التي أضرمتها الله فيه لتنقيته.

وماذا عنا يا أحبائي؟ عندما نخالف وصايا الله، حتى في أبسط الأمور، هل نحكم على أنفسنا بهذا "الحبس"؟ أم أننا نزيد خطية على خطية بترك الثعالب الصغيرة^(٢) تمر بدون أن نلاحظها إلى أن نفقد تلك الحساسية التي أشعلها الله داخلنا بروحه القدوس – إحساس أننا لا نطيق أن نحتمل أدنى عيب يشوه أرواحنا؟ كم هو سهل أن تبرد محبتنا.

"طوبى لِلْأَنْقِيَاءِ الْقُلُوبِ، لِأَنَّهُمْ يُعَايِنُونَ اللَّهَ"^(٣).

ولذا فكيف لنا أن نتكلم ردياً على أخواننا، أو نعترض على ما لا يرضينا، أو نتمرد على السلطة؟ كيف لنا نحن المتراخين والفاثرين؟! كيف لنا أن نحكم على الآخرين ونبرئ أنفسنا؟ كيف لنا أن نحتج وندافع ونطلب ما لأنفسنا؟ ومع الأسف فقد أصبحت مثل هذه الأشياء مقبولة لدينا.

"لَأَنَّهُ مَاذَا يَنْتَفِعُ الْإِنْسَانُ لَوْ رَبِحَ الْعَالَمَ كُلَّهُ وَخَسِرَ نَفْسَهُ؟ أَوْ مَاذَا يُعْطِي الْإِنْسَانُ فِدَاءً عَنِ نَفْسِهِ؟"^(٤).

أحبائي، إنها مسألة بسيطة جداً – إما أن نريح العالم عندما نحافظ على مكانتنا من أجل مجد الناس أو أننا لا نترك أي زلة أو خطيئة تمر بدون أن نلاحظها، بل نسرع بالحري لانتهاز كل فرصة سانحة لكيما نتضع ونرث ملكوت السموات.

دعونا نسأل أنفسنا، ما الذي نبتغي أن نريجه في هذه الحياة؟ هل هي المكانة؟ هل هو التسلط على الآخرين (الرئاسة)؟ هل هو أن نتسيّد على حياتنا الخاصة؟ هل هو أن نكون مُفضّلين لدى الشيوخ (من يدبرنا)؟

"الْحَقُّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّهُمْ قَدْ اسْتَوْفَوْا أَجْرَهُمْ!" (٥).

أو بالأحرى أن نبحث عن الراحة في خدمتنا بعيداً عن المتاعب؟

"يَا ابْنِي، اذْكُرْ أَنَّكَ اسْتَوْفَيْتَ خَيْرَاتِكَ فِي حَيَاتِكَ، وَكَذَلِكَ لِعَازِرِ الْبَلَايَا. وَالآنَ هُوَ يَتَعَزَّى وَأَنْتَ تَتَعَدَّبُ!" (٦).

إذا تغربنا على هذه الأرض لنصنع لأنفسنا اسماً ولنريح العالم. إذاً نعم، دعونا ندافع عن أنفسنا، دعونا نعيد صياغة اعترافاتنا لنظهر أبراراً في أعين أب اعترافنا. دعونا نتدمر لكيما نجد الراحة. دعونا نرفض الخضوع، بل ونسعى لخضوع الآخرين لنا. دعونا نستسلم لكبريائنا ونخفي اخطائنا. دعونا نتمم مشيئتنا الخاصة لا مشيئة الله. نعم، دعونا نُفْرِحْ عِدْوَنَا ونكسر قلب أيينا.

أحبائي، ألم نختر جميعنا أن نخدم الله؟ فإذا لم يكن العبد أفضل من سيده^(٧)، فلما نسعى نحن أن نكون؟ دعونا بدلاً من ذلك نقول مع داود: **"خَطِيئَتِي أَمَامِي دَائِمًا"** (٨).

ولنكن غيورين في الحفاظ على نقاوة قلوبنا ودعوتنا.

"وَمَا أَقُولُهُ لَكُمْ أَقُولُهُ لِلْجَمِيعِ: اسْهَرُوا!" (٩)

ليكن سلام ومحبة ربنا يسوع المسيح مع جميعكم.

والمجد لله إلى الأبد. آمين.